فكاهات

رواية

المخاصرة[1]

كان في مدينة ليون رجلٌ من اهل الثروة يقال لهُ فردينان يتعاطى بها اعمال التجارة فامتدّت علاقاتهُ واتسع غناهُ واتخذ لهُ ارضاً فسيحة في افضل بقعة من المدينة وبنى فيها قصراً فاخراً وغرس حولهُ حديقةً غنآء ورتع هناك في بحبوحة السعادة مع زوجتهِ وولدهِ ادمون . وكان ولدهُ هذا شاباً ذكيًّا وقد هذَّبهُ وخرَّجهُ في الاعمال واتخذهُ مساعداً لهُ في تجارتهِ وكان لا يفتر عن اتخاذ الاسباب التي تزيد موارد غناهُ ليتركهُ لولدهِ الوحيد بعد وفاتهِ ويغنيهُ عن سواهُ من البشر . وكان لزوجة فردينان ابنةٌ من زوجها الاول يقال لها استير فبعد ان اتمت دروسها كرهت ان تبقى في بيت والدتها مع غير ابيها فأقامت في المدرسة تدرّس فيها مجاناً . اما فردينان فكانت احوالهُ البيتية الهنيئة ومكاسبهُ المتزايدة يوماً بعد يوم تزيد في سرورهِ فلم يكن يُرى الا باسم الثغر ناعم البال لا يهمهُ سوى اتباع المسرات وايلام الولائم واحيآء الليالي بكل انواع السرور . ولما بلغ ولدهُ ادمون الحادية والعشرين من عمرهِ رغب والداهُ في تزويجهِ فأبى لان قلبهُ كان بعيداً عن

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

النسآء وكان والداهُ يلحّان عليهِ في ذلك بغية ان يريا سعيداً مع الزوجة التي ينتقيها ليتحققا سعادتهُ قبل ان تدركهما المنية ولكنهُ كان لا يزداد الاّ اباءً ونفوراً واصراراً على ايثار الحياة الحرة . فجعلا يكثران من الولائم والدعوات وليالي الرقص والطرب ويدفعان ادمون اليها رغماً وهو يلاطف الجميع ويظهر كمال صفاتهِ وحسن سجاياهُ بدون ان يعلّق قلبهُ او يربط فؤادهُ باحد نفاخ الشيطان . ولم ييأس والداهُ من ذلك لعلمهما ان لا بد لكل ابن انثى وان طال عصيانهُ لسلطان الهوى من الانقياد لهُ صاغراً والانخراط رغماً عنهُ بين جنودهِ فتركا الحاحهما الشديد وعمدا الى تكثير الزيارات ولا سيما بين خرائد الجنس اللطيف وهما يرقبان وقوع ادمون ليفرحا بسقوطهِ

ولم تمضِ عليهم ايام قلائل حتى اقبلت المرافع واستعد سكان مدينة ليون لاحيآء لياليها على عادتهم ووُزّعت رقاع الولائم والمخاصرة وكان اهمها ليلةً عزم على احيآئها واحدٌ من اشراف الفرنسويين يقال لهُ المسيو برتران وقد اباح فيها الحضور لكل من شآء بشرط ان يحسن المخاصرة لان المدعوين في مثل تلك الليلة لا بد ان يكونوا ملثمي الاوجه فلم يكن مانعٌ من اختلاف طبقاتهم . ولما علمت والدة ادمون بذلك اتخذت تلك النهزة ذريعة لبلوغ امنيتها فأخذت تقنع ولدها بالذهاب الى تلك الليلة آملةً انهُ باختلاطهِ مع تلك الاصناف العديدة لا بد ان ينفتح صدرهُ للحب وكان فردينان يعلم شدة تعلق ادمون بوالدتهِ فالحّ عليها في استعمال قوة محبتها لاقناع ادمون بذلك

وفي صباح يوم الليلة المعهودة نهض فردينان من رقادهِ فرحاً مسروراً

لانهُ لم يكن يقف في طريق مسراتهِ شيء وقد استبشر سلفاً بما سيتمتع بهِ في ذلك المسآء . ولما جلس مع زوجتهِ وولدهِ الى مائدة الطعام التفت الى ادمون وفاتحهُ في امر الذهاب لحضور تلك الليلة فقال ادمون عجباً يا والدي من الحاكم الشديد أيفعل الانسان ما يكره ام ما يحب فقد علمتم انني لااميل الى هذه الامور وانها تضايقني جدًّا فالجلوس في غرفتي مع كتبي احب اليَّ من اعظم احتفالات العالم . ولما الحّ والداهُ في مجادلتهِ وقف بدون ان يجيب ثم لبس قبعتهُ وخرج من البيت . فتعجب والداهُ من اصرارهِ هذا ولما يئسا من انقيادهِ لمرادهما عزما ان يتركاهُ وشأنهُ ولا يعودا الى مفاتحتهِ في هذا الامر

ثم اقبل المسآء ولم يحضر ادمون فقلقت والدتهُ ولم تطاوعها نفسها على الذهاب الى نادي الافراح وهي قلقة البال فرغبت الى زوجها ان تبقى في البيت . فاستآء فرديناند لذلك ولكنهُ لم يكن من الذين يهتمون بارضآء غيرهم ولم تكن هذه الموانع لتعوقهُ عن اتباع ملذاتهِ وتوفير سرورهِ فتركها وسار لا يلوي على شيءٍ الى المزين فنفض عن رأسهِ غبار المشيب ورفع شاربيهِ وبدَّل الشيخوخة بعنفوان الشبيبة وبعد ما ادّهن وتعطر ارتدى ثوب المساخر وتنكر بالوجه المستعار وذهب الى حيث كان موعد الاجتماع

وكانت دار المسيو برتران مزدانة في ذلك المسآء بالمصابيح والانوار الباهرة تشق رداء الليل وتلقي عليهِ بهجة النهار وقد فُرشت الطرق والابواب بالازهار والرياحين وارتفعت الاسهم النارية تخترق صدر الفضآء واخذ المدعوون في الدخول باثوابهم الجميلة وهم متسترون ببراقعهم فكانت الدار

ومن فيها شعلةً من نور . ولما صدحت الموسيقى نهض الجمهور للمخاصرة وسعت الرجال في انتقآء السيدات ودارت رحى الرقص كامواج البحر الزاخر . وكان من اشدهم تمتعاً بتلك اللذة فرديناند فلم يكن لتكل قدماهُ ولا تخور قواهُ وقد استعان باخفآء وجههِ على اغتنام تلك الفرصة التي ربما كان يتعذر الحصول عليها بدون التستر . ولما انتهى الفصل الاول بصر فرديناند بفتاةٍ رشيقة القوام حسنة الهيئة فأسرع اليها وتأبط ذراعها ودعاها لتشاركهُ في شرب شيءٍ من المنعشات فأجابت الفتاة بكل احتشام وسارت واياهُ ثم طلب اليها ان تقبلهُ مخاصراً لها في الرقص التالي فاعتذرت ولما الح عليها قالت انني لم احضر ليالي الرقص الا نادراً ولم اعتدهُ . قال وعلامَ اذاً اتيتِ في هذا المسآء . قالت لم يكن بودي الحضور ولكن لي صديقةً حسَّنت لي هذا الاجتماع فصحبتها لا رغبةً في مشاركة اهلهِ بل على امل ان اشاهد فيهِ اناساً من ذويَّ ولكن من اين لي ان اعرف الحاضرين هنا وهذه البراقع تخفي الاخ عن اختهِ . قال فرديناند اذاً السيدة ليست من ليون . قالت لا . ولم تكن شروط المساخر تسمح بزيادة الاسترسال معها في البحث وكان فرديناند لا يهمهُ السؤال عن تلك الفاتنة وهو رجل متزوج فحوَّل الحديث الى موضوع الرقص وسألها قبولهُ معها في الدور الثاني وكانت الموسيقى على اهبة العمل فأخذ بذراع الفتاة وقد خجلت ان تصدّهُ بعد هذا الالحاح وانسابا بين الجمهور يرقصان حتى جذبا اليهما ابصار الجميع

ورأى فرديناند من مهارة مخاصرتهِ ولين حركاتها ورشاقتها ما اخذ بمجامع قلبهِ فطلب اليها ان لا ترقص مع غيرهِ في تلك الليلة . فشكرتهُ على

ذلك وقالت لا اظنني راقصةً مع احدٍ بعدُ ثم توجهت الى مقعد فجلست لتستريح . غير انها ما استقرّ بها الجلوس حتى اقترب منها فتًى معتدل القامة قد ارتدى لباس الفرسان الموشى بالحلى والنياشين فكان لهُ منظرٌ باهر ورغب اليها ان تمنّ عليهِ بصحبتها في الدور الثالث . فقالت ارجو ان تعذرني ايها الفتى فليس ذلك في امكاني هذه الليلة . قال لا اظن انك تبخلين بذلك على فتى لم يطلب هذا الطلب من سواكِ ويودّ ان لا تردّيهِ بالخيبة . قالت حبذا لو امكن فاني لست اهلاً لهذا . قال كيف ذلك وقد رأيتكِ منذ هنيهةٍ مرمى لابصار الجميع وكفى انني راقبتكِ طويلاً ولم اصدق ان يتسنى لي وجودكِ جالسةً لاطلب منكِ هذا الطلب . قالت قد اجبرني ذلك الرفيق على الرقص ففعلت وحتمت ان لا اكرر ذلك . قال وددت لو اجرّب قوتي معهُ لنرى ايُّنا اقدر على الاجبار

وما اتم الفتى كلامهُ حتى رأى الرفيق الاول امام وجههِ وهو يقول لقد اطلت جدالك ايها الوقح مع هذا الملك فدعها وشأنها والا انلتك ما تتمناهُ من معرفة الاقوى فينا . ولم يكن الفتى يتوقع المذلة الاولى فكيف الثانية فاشتعل غيظهُ من مزاحمهِ ورفع يدهُ ولكمهُ في صدرهِ احتقاراً وازدراءً

وكان ذلك ما يتمناهُ الاول فاشهد عليهِ من بقربهِ وطلب الفتى للبراز . ولم يكن الفتى يتوقع ذلك فصمت حيناً ثم تذكر ان السيدة قد اخجلتهُ برفضها مخاصرتهُ وان الرجل اهانهُ بفظاظتهِ وخشي ان يوسم بالجبن اذا نكل عن مبارزتهِ فنزع قفّازهُ من يدهِ وضرب بهِ وجه خصمهِ وهي علامة قبول البراز . فقال لهُ الاول قد قبلت اذاً فاستعدّ لما ستلقاهُ مني واختر متى تريد

ان يكون ذلك واين وكيف . قال اريد ان يكون ذلك في هذه الليلة بل الآن وهنا وكما تحبّ . ثم اتفقا ان ينحازا الى احدى غرف القصر ويُصحبا بعض الشهود وان يعجلا في الامر قبل ان تعترضهما الموانع وهما تحت حجاب التنكر

ولم تمضِ على ذلك الا دقائق قليلة حتى دخلا غرفةً ومعهما رجلان مستتران انتقياهما من جماعة المدعوين واخذ كلٌّ منهما سيفاً واستعدّا لاستقبال الموت بينما كانت الموسيقى تعزف في الدار الخارجية والمخاصرة دائرة على قدم وساق . فوقف الخصمان وسيف كلٍّ منهما مصلتٌ بيدهِ وما اعطى الشاهدان العلامة حتى برق سيفاهما وهجما بعضهما على بعض . ويا للعجب من تغيُّر الانسان كيف يكون في الدقيقة الاولى سميراً للجنس اللطيف في غاية ما يكون من الرقة والانس مشابهاً لملائكة السلام ثم تراهُ في الدقيقة الثانية وحشاً ضارياً قد بدّل رقتهُ بالشراسة وأنسهُ بالتوحش يظمأ الى ارتشاف الدمآء ويسر بقبض الارواح كابالسة الجحيم . واشتد العراك بين الخصمين والتقى كلٌّ من صاحبهِ ثبوت جنانٍ وقوة ساعد عظيمين ووثب الفتى وقد وجّه الى عنق خصمهِ ضربةً قاضية فزلت قدمهُ قبل ان يصل اليهِ وكانت تلك فرصة لخصمهِ فطعن بسيفهِ صدر الفتى فدخل النصل فيهِ الى وسطهِ فارتخت يد الفتى وسقط سيفهُ من يدهِ وهوى بجسمهِ الى الارض والدم يتدفق من صدرهِ . فبُهت الشاهدان ووقف القاتل فرحاً بانتصارهِ مفتخراً بعملهِ الوحشي ثم اكبّ الشاهدان على القتيل فمزقا البرقع عن وجههِ ليعرفا من هو . وحالما وقعت عليهِ عين فرديناند ارتعشت اعضآؤهُ لانهُ تخيل فيهِ

شبه ولده ادمون فأسرع واستثبت منظرهُ فلم يبقَ عندهُ شكٌّ انهُ هو هو وكأن صاعقةً انقضّت على دماغهِ فصاح صيحة اليأس ووقع مغشياً عليهِ

ولا يستطيع القلم ان يعبر عن حال الوالد بعد ان عاد الى رشدهِ وتراجع الى مخيلتهِ ما فعلهُ في تلك الليلة فلعن ساعتهُ وافراحهُ ولذيذ لياليهِ ونتف شعرهُ وسار على اثر حاملي ولدهِ الى بيتهِ والزفرات تمزق صدرهُ والعبرات تحرق وجنتيهِ . ولما بلغوا البيت اسرع ذلك الوالد الحزين فرمى بنفسهِ على اقدام زوجتهِ وصاح بها قائلاً تعالي ايتها الثاكل وارفسي برجلكِ قاتل ولدهِ فقد قتلت ادمون بيدي . ولما رأت الوالدة ادمون قتيلاً بين يديها تفرست فيهِ مليًّا وهي مبهوتة ثم طفرت في البيت تُعول وتصيح وقد فقدت شعورها. وفي اليوم الثاني دُفن ذلك الفتى المسكين في طاقات الازهار والرياحين وانقلب بيت فرديناند من بعد الافراح والمسرّات الى الحزن الدائم فصبغ جدران بيتهِ بالسواد وقضى بقية حياتهِ مع زوجتهِ داخل غرفتهِ لا يأنس بمشاهدة احد ولا يرغب في سماع شيء سوى رثآء فلذة كبدهِ . وبعد بضعة ايام ورد على فرديناند كتابٌ فطرحهُ على كرسيٍّ وتركهُ اياماً الى ان كان ذات يوم ففتحهُ فاذا هو من ابنة زوجتهِ استير تصب فيهِ على نفسها اللعنات وتذكر انها هي فاتنة تلك الليلة المشؤومة . وكانت بعد ان قضت تلك الليلة اكراماً لرفيقتها عادت واياها الى المدرسة ثم بلغتها الحادثة بعد ايام فحزنت حزناً شديداً وكرهت العالم فقصّت شعرها ودخلت الدير لتقضي بقية الحياة مترحمةً على الميت مترجية لهُ العفو والغفران

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون خرج في موكبٍ يبلغ خمسة آلافٍ عدًّا وهي عبارةٌ شائعة عند اكثر الكتّاب لا تكاد تفوت واحداً منهم وربما قالوا قُتل في هذه المعركة ما يقارب خمسة آلافٍ عدًّا وهو اغرب . وانما ذلك لعدم تدبُّرهم معنى العدّ هنا والمقصود بهِ عند من نُقل عنهُ هذا التركيب . وبيانهُ انك تقول مثلاً لي على فلانٍ خمسة آلاف درهمٍ عدًّا اي لي عليهِ هذا القدر معدوداً عدًّا لا بطريق التقدير والتقريب ونقدتهُ خمسين ديناراً عدًّا اي عددتها لهُ واحداً واحداً ومفادهُ التحقيق والتوكيد لا الحشو والتزيين كما يتوهمونهُ

ويقرب من هذا قولهم دخلت عليهِ فاذا عندهُ رجلان اثنان والتوكيد غريبٌ في هذا الموضع لان الرجلين لا يكونان الا اثنين فالصيغة مغنية عن التصريح باسم العدد وانما يزاد اسم العدد للتوكيد حيث تدعو اليهِ الحاجة لدفع التوهم او تقوية المعنى تقول شهد بهذا شاهدان اثنان فتوكد لئلا يُتوهم في كلامك غير الحقيقة وقبضت عليهِ بيديَّ الثنتين تريد شدة القبض عليهِ ومنعهُ من الافلات وقس على ذلك

ويقولون فعل هذا لمصلحة اهل جلدتهِ يريدون قومهُ واهل جيلهِ (الجيل الصنف من الناس كالعرب والترك والروس وغير ذلك) وقد أُولع كتّابنا بهذه العبارة وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحثٍ ولا تنقيب عن اصل مغزاها ومراد قائلها . وهي في الاصل من قول جرير وقد مرّ بنُصَيبٍ الشاعر وهو ينشد وكان نُصَيبٌ اسود فقال لهُ اذهب فانت اشعر اهل